تحاول هذه المحاضرة البحث في أصل الخط العربي، وعرضها للنظريات التي تناولت أصله وتطوره في النقوش النبطية والعربية.

تذهب المصادر العربية القديمة مذاهب شتى في وضع الخط العربي أو اشتقاقه[1]، فذكروا أنه وضع متأثرًا بهجاء السريانية، وأنه انتقل من الأنبار إلى الحيرة، ومنها إلى الحجاز بطريق دومة الكندل، فقد روي أن الإمام الشّعبي (ت 103هـ / 721م) قال: « سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتاب؟ قالوا: من أهل الحيرة، وقالوا لأهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتاب؟ قالوا: من أهل الأنبار »[2].

وروي عن الإمام الأصمعي (ت 216هـ / 831م) قال: « ذكروا أن قريشًا سئلوا: من أين لكم الكتابة؟ فقالوا: من أهل الحيرة، وقيل لأهل الحيرة: من أين لكم الكتابة؟ فقالوا من أهل الأنبار »[3].

وقد أسند البلاذري نقل الكتابة من الحيرة إلى مكة وباقي الحجاز إلى أفراد بأعيتهم حيث قال: « كان بشر بن عبد الملك أخو أَكَيْدِر بن عبد الملك بن عبد الجن الجندي ثم السكوني يأتي الحيرة فيقيم بها حينًا وكان نصرانيًا، فتلعم بشرٌ الخط العربي من أهل الحيرة، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن مناف بن زهرة بن

---

[1] قال الزمخشري: « خطّ الكتاب يخطه، وكتاب مخطوط، والخطة من الخط كالنقطة من النقط ». ينظر: الزمخشري، المصدر السابق، ج1، ص240.

ويعرفه الكردي بقوله: « الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة ». ينظر: محمد طاهر الكردي، **تاريخ الخط العربي وآدابه**، ط2، الجمعية السعودية للفنون والثقافة، الرياض ــ المملكة العربية السعودية، 1982، ص8.

ويعرفه جعفر بن يحي بقوله: « الخط سمط الحكمة وبه تفصل شذورها وينتظم منثورها ». ينظر: عبد الجبار الحميدي، **الخط العربي والزخرفة العربية**، المملكة الأردنية الهاشمية، الأردن، 2005، ص15.

[2] الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ / 1052م)، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**، دراسة وتحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميد، تقديم: إبراهيم بن سعيد الدوسري ومحمد بن سريع السريع، ط1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 2010، ص161، 162.)

[3] ابن رستة أحمد بن عمر، **الأعلاق النفيسة**، مج7، لندن، 1891، ص192.

كلاب يكتب، فسألاه أن يعلمهما الخط، فعلمهما الهجاء، ثم أراهما الخط فكتبا، ثم إن بشرًا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة، فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم، وفارقهم بشر فمضى إلى ديار مُضر فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة بن عدس، فسمي عمرو الكاتب، ثم اتى بشرً الشام فتعلم منه ناس هناك »[1].

وأورد السيوطي في كتابه المزهر[2] أن بشر بن عبد الملك خرج إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلّم جماعة من أهل مكة الكتابة، فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يَمُنُّ على قريش بذلك: [الطويل]

لا تجحدوا نعماء بِشرٍ علّكمو فقد كـــان ميمون النقيبة أزهـــرَا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كـــان شتى مبعثرَا
وأتقنتمو ما كان بالمال مهملا وطامنتمـــو ما كـــان منـــه منفرَا
فأجريتمُ الأقـــلام عَودًا وبدأةً وضاهيتمو كتّاب كِسرى وقيصرَا
وأُغنيتمو عن مسند الحي حميرا وما زَبرت في الصحف أقيال حميرَا

وأرجع ابن خلدون أصل الخط العربي اعتمادًا على بعض الروايات القديمة إلى الخط المسند الحميري الذي ظهر باليمن في دولة التبابعة التي كانت قد وصلت إلى مرحلة متميزة من الإزدهار، ومنها انتقل شمالاً إلى الحيرة والأنبار بالعراق، فازدهر أيضًا عند المناذرة لكن بدرجة أقل، ولما كانت علاقة قبيلة قريش قوية بشمال الجزيرة العربية فقد تعلم رجال منها الخط عن طريق الحيرة، والشيء نفسه بالنسبة إلى أهل الطائف[3].

ولو أن هذه الروايات في بعض المصادر تختلف ـــ قليلاً ـــ عن هذه الآراء، إلاّ أنها

---

[1] البلاذري أحمد بن يحي بن جابر بن داود (ت 279هـــ / 892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، ج3، القاهرة، د.ت، ص82، 83.

[2] السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـــ / 1505م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته: محمد أحمد جاد المولى بك وآخران، ج2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، ص346، 347.

[3] ابن خلدون، **كتاب العبر**، ج2، ص121.

تجمع على أن الخط لم يكن أصيلاً في الحجاز، وإنما دخله من اليمن أو العراق أو من أرض مدين وأطراف الشام[1].

وقد ذهب مجموعة من المستشرقين والباحثين العرب إلى أن الخط العربي مستند إلى أصول سريانية من خلال تشابه شكل الحروف وترتيبها في السريانية والعربية، وهذا التشابه يشمل العبرية والآرامية أيضًا[2].

بيد أن الباحث خليل يحي نامي ينكر أن يكون الخط النبطي قد تطور وانتقل إلى الكتابة العربية في الحيرة أو بلاد الغساسنة، على أساس أنها كانت قبل الإسلام مثقفة بالثقافة السريانية وتدين بالديانة النصرانية، وكان الخط السرياني هو الخط الرسمي في تلك الأنحاء، وهو لذلك ينكر أن يكون القلم العربي قد انتقل إلى الحجاز من الحيرة[3].

و لم تصل إلينا نصوص حيرية حتى نقارن بينها وبين الخط العربي القديم[4]، فضلاً عن الاختلاف الكبير في شكل الحروف وتركيب الكلمة بين الخط العربي والخط المسند الحميري[5].

---

[1] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج1، ط2، جامعة بغداد، بغداد، 1993، ص188.

[2] عبد الفتاح عبادة، **انتشار الخط العربي**، ص24، 25.

وإسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ط1، مطبعة الإعتماد، مصر، 1929، ص150.

[3] خليل يحي نامي، **أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام**، مطبعة بول باريه، القاهرة، 1935، ص102، 103.

[4] جواد علي، المرجع السابق، ص7 ــ 61.

[4] René Dussaud, **La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'slam**, Paris, 1955, P: 61.